فتح القسطنطينية (1453م)

نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة

زينه إبراهيم حبلي*

- السلطان محمد الفاتح

قُدّر للإمارة العثمانية من بين إمارات الترك التي نشأت على أقصى الحدود الغربية للأناضول، أن تصبح سلطنة مترامية الأطراف، وأن تتوسع رقعتها الجغرافية لتحكم شعوبًا ومللًا غير متجانسة، وأن تكون أطول عمرًا لنحو أكثر من ستة قرون متتالية، وتتولى زعامة العالم الإسلامي. وأدت الدولة العثمانية دورًا فاعلًا على مدى هذه القرون في منطقة امتدت من بلاد فارس والخليج العربي شرقًا وحتى بلاد النمسا والمغرب غربًا، ومن جنوب موسكو والقفقاس وبولندا شمالًا وحتى بلاد الحبشة والمحيط الهندي جنوبًا، ولقد ورثت هذه الدولة حضارة السلاجقة والبيزنطيين، ومؤسساتهم العلمية والحضارية، إلى جانب استفادتها من نظم إدارة المماليك والإيلخانيين والصقالبة[1].

رسم للسلطان محمد الثاني الفاتح للرسام جينتيلي بيليني 1480

وفي واقع الأمر إن المنازعات بين قبائل الأتراك وبين دولة الروم لم تتوقف حتى تم فتح القسطنطينية. وظل فتحها حلمًا يراود المسلمين، ولا شك بأن فتحًا عظيمًا كهذا سوف يهيء للسلطان مكانة هامة داخل دولته وفي كافة أنحاء العالم الإسلامي باعتباره الأمير الذي بشر به الحديث النبوي الشريف. فكيف صار هذا الأمير هو أمير الخير، كما بشّر به رسول الله(ص)، وكيف كان جيشه خير الجيوش؟ لقد حظي الفاتح بتربية علمية خاصة، منذ طفولته، واهتم والده بتنشئته تنشئة علمية ودينية وجسدية جادة.

ولد السلطان محمد الثاني في مانيسا في عام 1429م، وقضى طفولته بأدرنة تحت رعاية والده السلطان مراد الثاني الذي عني بتدريبه على الفنون العسكرية والشؤون السياسية، واهتم بتثقيفه على يد أعظم علماء الدولة في العلوم الدينية والأدبية أمثال أحمد بن اسماعيل الكوراني[2] الذي ختم القرآن على يديه، واستطاع أن يحبّب العلم للأمير، والشيخ آق شمس الدين الذي أدى دورًا في تكوين شخصيته وبثّ فيها حبّ الجهاد، والإيحاء دومًا له منذ صغره بأنه الأمير المقصود بالحديث الشريف، لذلك كان يطمع أن ينطبق عليه هذا الحديث: "لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"[3].

ورث الأمير دولة قوية واسعة بعد وفاة والده في شباط 1451م[4]، وهو في الثانية والعشرين من عمره[5] لكنها كانت لا تزال منقسمة إلى قسمين أناضولي وروملي، ما إن تولى السلطة حتى انتهج الطريق الذي سار عليه والده وأجداده في الفتوحات، وقد ساعدته عدة عوامل في تحقيق أهدافه. دام حكمه نحو ثلاثين عامًا كانت أعوام عزّ وخير للمسلمين، وقد تمكن خلالها من الانتقال بالعثمانيين من مرحلة الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية. وفي الحقيقة عدّ خطأً بأنه قليل المقدرة على الحكم بسبب أن والده نحاه عن الحكم عندما اشتد الخطر في معركة وارنه ليقودها هو بنفسه[6]، لكن الأيام أثبتت بأنه من أدهى السلاطين في ميادين الحرب والسياسة، واشتهر بلقب محمد الفاتح، لفتحه القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية وجعلها عاصمة لدولته. وقام بعدة إصلاحات داخلية كإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة وأقرّ بعض الولاة السابقين في أقاليمهم وعزل من ظهر منه تقصير، وطور البلاط السلطاني فاستقدم من لديه الخبرات الإدارية والعسكرية مما ساهم في استقرار دولته ودفعها قدمًا للأمام. واهتم ببناء المساجد والمنشآت الخيرية، واستقدم لبنائها الفنانين المهرة من اليونان وإيطاليا. واهتم بالأمور المالية عن طريق تحديد موارد دولته وطرق الصرف بما يمنع الإسراف، وعُدّ من أكبر حماة الإصلاح والنهضة العلمية الحديثة لتميزه بالتسامح.

كان السلطان يقدر أهل العلم ويرعاهم ويتواضع للعلماء ورجال الدين[7]. وتميز بتكلمه عدة لغات عدا عن اللغة التركية؛ فقد أحسن تكلم العربية والفارسية واليونانية واللاتينية والصربية[8]، ويميل لدراسة كتب التاريخ والجغرافيا والعلوم العسكرية، وكان معجبًا بالفنون الجميلة حتى قيل: لطالما أسرف في إكرام رسامي إيطاليا"[9]، وكان يكتب أشعاره تحت اسم "عوني" وهو يعدّ أول شاعر امبراطوري اتخذ لنفسه اسمًا مستعارًا، وله ديوان شعر باللغة التركية[10].

مارس السلطان الأعمال السلطانية في حياة أبيه، ومنذ تلك الفترة وهو يعايش صراع الدولة البيزنطية في الظروف المختلفة، وكان على معرفة تامة بالمحاولات السابقة لفتحها، وبالتالي منذ الأيام الأولى لتوليه الحكم كان يتطلع إلى فتح القسطنطينية، وإلى العمل بسرعة لإنجاز الفتح، خاصة أنها كانت تعاني ضعفًا عسكريًا منذ فترة. كما احتاج السلطان الجديد إلى إنجاز كبير يمكنه من القضاء على نفوذ الوزير الأول جاندارلي خليل باشا[11]. وفي الواقع كان مجيئ السلطان محمد للسلطة مثار رعب في القسطنطينية؛ فلقد كان أهلها يعرفون تمام المعرفة أنه أقسم ليستولين على هذه المدينة، وأن ذلك سيكون أول عمل يقوم به.

- بوادر الحرب بين محمد الفاتح وقسطنطين الحادي عشر

لم يكد يجلس محمد الثاني على عرش السلطنة حتى ثار ضده إبراهيم أمير القرمان في صيف 1451، بتحريض من قسطنطين[12] وأثار معه عدة أشخاص من بكوات الأناضول، وقد اعتادت إمارة قرمان

أن تتخذ موقف العداء من العثمانيين كلما سنحت الفرصة، سار السلطان بجيشه لإخضاع هذا الأمير الذي أعلن خروجه على طاعته، واستطاع إخضاعه وعقد صلح معه مقابل أن يترك إبراهيم بك المناطق التي استولى عليها قبل موقعة وارنة في عهد والده وأن يمدّ العثمانيين بالجنود في حروبهم. خلال ذلك لجأ قسطنطين لحيلة جديدة للإيقاع بالعثمانيين، إذ أرسل الامبراطور قسطنطين الحادي عشر رسله إلى السلطان أثناء تواجده بآسيا الصغرى، حاملين الإنذار والوعيد باطلاق أورخان وجعله سلطانًا في تراقيا لأنه تأخر في دفع مصاريف الأمير العثماني، وقد لقيهم الصدر الأعظم خليل باشا ولم يستطع أن يملك نفسه برغم ما كان بينه وبينهم من صلات ودية، بأن صاح بهم غاضبًا بأنهم لن ينالوا من وراء ذلك شيئًا بل يستعجلون القضاء على أنفسهم[13]. وطلب السلطان مقابلتهم، فأحسن لقاءهم وسايرهم بالقول حتى يستطيع العودة إلى عاصمته أدرنة ويفوت على الإمبراطور الفرصة في قطع الطريق عليه، ووعدهم بتلبية مطالبهم. لهذا قرر عقد الصلح وقتها مع القرمانيين حتى يتفرغ للبيزنطيين. ومنذ اللحظة التي أنذر فيها قسطنطين السلطان محمد الثاني عقد الأخير العزم على فتح القسطنطينية، وعاد إلى عاصمته ومنها بدأ يستعد للفتح[14].

- العثمانيون والقسطنطينية

لم تكن العلاقات العثمانية البيزنطية حينما تولى محمد الثاني علاقات إخلاص وصداقة، فقد كان الأتراك يعلمون حقّ العلم أن البيزنطيين سينقضون مواثيقهم إذا أتت أول فرصة، ولطالما كانت هذه المدينة المعقل الاستراتيجي الهام للتحركات الصليبية ضد العالم الإسلامي لفترة طويلة من الزمن[15]، ودأب الأباطرة البيزنطيون على انتهاز كل الظروف للإيقاع بين العثمانيين وإثارة الإنقسام بينهم، أو مساندة الطامعين بالعرش العثماني أو حتى التهديد بشنّ حملات صليبية جديدة. أما بلاد الروم في ذلك الوقت، فكانت قاصرة على القسطنطينية وضواحيها إذ خسرت الكثير من أراضيها، وكان فتح القسطنطينية هدف العثمانيين منذ أن أقاموا دولتهم في آسيا الصغرى، ولم يكن خارجًا عن الحكم العثماني في تلك المنطقة سوى جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الرومية. وبعد أن عبر العثمانيون بحر مرمرة وبسطوا سلطانهم على شرقي أوروبا أصبح هذا الفتح ضرورة سياسية ملحة لهم، فقد باتت المدينة كجزيرة يونانية وسط بحر عثماني، وتشكل عائقًا يقيد حركة العثمانيين المتنقلين بين أراضيهم في الأناضول والبلقان، وتجعل من الصعب عليهم السيطرة الكاملة على منطقة الروملي.

كما كان فتح القسطنطينية أمنية من أكبر أماني المسلمين منذ نشأة دولتهم، فقد ساهمت مناعة أسوارها والنار الإغريقية التي برعوا بها، في أن تدحض الفاتحين وتردهم. لقد حاول فتحها معاوية بن أبي سفيان في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ولم تفلح محاولته، واستشهد تحت أسوارها الصحابي أبي أيوب الأنصاري، ثم

تكررت المحاولات في عهد الأمويين خمس مرات، وفي عهد العباسيين ثلاث مرات، وفي عهد العثمانيين مرتين منذ بايزيد الأول (الصاعقة) ثم مراد الثاني أبو محمد الثاني (فاتح القسطنطينية)، فبلغت هذه المحاولات إحدى عشرة مرة قبل المرة الأخيرة (أي المحاولة الثالثة) التي نجح فيها محمد الثاني (الفاتح). إضافة إلى أنه لم تعد العواصم الأولى للعثمانيين سواء يني شهر وبروسة في آسيا الصغرى وأدرنة في أوروبا صالحة لأن تكون عاصمة لهم[16]. فعمل السلطان محمد الثاني بجهد لجعلها عاصمته وتحقيق ما عجز عن تحقيقه أسلافه.

تعدّ القسطنطينية من أهم مدن العالم، تأسست كمستعمرة يونانية إبان القرن السابع قبل الميلاد، ثم أعاد قسطنطين الأكبر (الأول) تأسيسها ودشنها في العام 330م وسميت باسمه لتكون وعلى مدى ألف ومائة عام تالية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية[17]، وتمتاز بأنها كانت مسيحية الصبغة[18] وخط دفاع أول تجاه الشعوب غير النصرانية[19]. تحيط بها البحار من ثلاث جهات، وتمتعت بطبيعة أرض خصبة وباعتدال مناخها، كما تمتعت بأسباب القوة والمنعة، ولها موقع استراتيجي أكثر أمانًا وأفضل من روما القديمة، كما تقع القسطنطينية على تقاطع طرق برية وبحرية رئيسة؛ فلها ميناء على القرن الذهبي مما جعلها مركزًا عظيمًا للتجارة. وقد أحيطت القسطنطينية بأسوار عالية بطول 6,67 كلم من القرن الذهبي إلى بحر مرمرة لتطوق المدينة وتعمل على حمايتها، ويبلغ ارتفاع السور الخارجي نحو خمس وعشرين قدمًا، وعليه أبراج حصينة شبيهة بأبراج السور الداخلي وإن كانت أصغر حجمًا منها، وبه أبواب سبعة أهمها باب أدرنة وباب المدفع والباب العسكري. وقد بنيت جدرانه بحجارة ملساء وعمودية بشكل لا يسمح بتسلقها، كما أخفيت فيه أنابيب ماء لغمر الخندق الخارجي عند اللزوم أو لإيصال الماء إلى المحاصرين حين تتطلب الضرورة ذلك، وكانت المعلومات عن هذه الأنابيب من أسرار الدولة لا يعلمها إلا الامبراطور وبعض القلة الموثوقين، وكانت جسوره المعلقة تسحب كليًا في أوقات الحصار[20]. أما السور الداخلي فيبلغ ارتفاعه أربعين قدمًا ودعم بأبراج، وتبلغ المساحة بين كل برج وآخر نحو مائة وثمانين قدمًا، وبين السورين الداخلي والخارجي أرض فضاء يبلغ متوسط عرضها ما بين خمسين وستين قدمًا. ويقع أمام السور الخارجي عدة متاريس للمراقبة تطل على خندق واسع عرضه نحو ستين قدمًا وعمقه مائة قدم حفر ليحيط بالمدينة، ويعدّ هذا الخندق بمثابة خط الدفاع الأول عن مدينة القسطنطينية. أما الأسوار على بحر مرمرة فكانت أوطأ من الأسوار البرية لأن البحر نفسه يعدّ مانعًا طبيعيًا، ومن جهة القرن الذهبي كان أكثر انخفاضًا.

- الإمبراطوية البيزنطية وعوامل الضعف التي أثرت فيها

من أهم عوامل ضعف الدولة البيزنطية نمو دولتي الصرب والبلغار وتقلص ممتلكات الدولة البيزنطية في البلقان على

أيديهم [21]. ويضاف إلى ذلك ضعف الحكومة وانحلال النظام وسوء سياسة الدولة من الناحية الخارجية، إذ لم تغتنم الدولة فرصة انقسام الأتراك على أنفسهم في بداية مجيئهم للأناضول، بل أخذت تتدخل لتنصر فريقًا على فريق. كذلك لم تعمل الدولة بقوة على توثيق صلاتها بالغرب الأوروبي وبالاعتراف بتفوق روما، لقد قبل الامبراطور البيزنطي اتحاد الكنيستين في آخر الأمر بعد تيقنه باستحالة التغلب على العثمانيين، واحتفل بذلك في كنسية آيا صوفيا لكن بعد فوات الأوان، وهذا الغرب لم يقدم لها المساعدة الكافية.

من الأمور التي ابتليت بها الإمبراطورية البيزنطية وكانت سببًا في ضعفها، هو هذا الولع والتعلق بمظاهر الأبهة والعظمة، وظلت حريصة عليها حتى في أيام ضعفها وإفلاسها، ومن أجل المحافظة على هذه النزعة ضحت بعدة أمور هامة كانت السبب في انهيارها منها: إهمالها أسطولها البحري، وتقليص عدد سفنه منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي بحجة أنه يتكلف أموالًا في غير جدوى، كما قللت عديد الجيش ونقصت ميزانيته، مما أضعفها وجعلها هدفًا للطامعين، مقابل أن وفرت بعض المال للاحتفاظ بمظاهر الأبهة القديمة في البلاط البيزنطي. برغم ذلك كان الإفلاس يلحّ على الدولة البيزنطية وتجلى ذلك عند زواج الإمبراطور يوحنا باليولوج الخامس (John VI Palaiologos or Palaeologus) سنة 1347م. وفي أواخر عهد آل باليولوج، اضطروا أمام الفقر الذي عانوا منه، أن يبيعوا قطعًا من أرض دولتهم، بل أصبح الأباطرة أنفسهم تحت ضغط المرابين. كما صارت الدولة البيزنطية تبيع للتجّار مدنًا برمتها، كما حدث حين باعت سالونيك وهي المدنية الثانية في الدولة عام 1423م للبنادقة. ناهيك عن الدسائس والمكائد التي عانى منها البلاط البيزنطي من أجل الاستحواذ على السلطة بين الأمراء والطامحين للعرش. على أن الطامة الكبرى التي عانت منها بيزنطة وقضت عليها هي المسألة الدينية والخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية، وكان لذلك أعظم الأثر في إثارة العداوة والخصام، وتثاقل الكنيسة الغربية عن نصرة القسطنطينية عندما أحدق بها الخطر، ويرجع ذلك إلى عدة مسائل فقهية تتعلق بالعقيدة وبعض الطقوس الدينية[22]. وكان أهل بيزنطة مؤمنين شديدي التعلق بالدين والأساطير، وكانوا بجميع طبقاتهم مولعين بالجدل والنقاش في المسائل الدينية، برغم أن العثمانيين كانوا على الأبواب.

– الإعداد للفتح

عقد المعاهدات: حال وصول السلطان محمد الثاني إلى أدرنة أراد أن يضمن بالطرق الدبلوماسية، حياد أعدائه، فجدد المعاهدات واتفاقيات الهدنة مع هونيادي (Hunyadi) الوصي على عرش المجر لمدة ثلاث سنوات، كما جدد معاهدة الصلح مع الصرب، وحافظ على المعاهدة مع قسطنطين التي كان قد عقدها والده معه، وترك منطقة جورلي للإمبراطور البيزنطي لقاء استمرار احتفاظه بالأمير أورخان بن

سليمان بن بايزيد الأول (الملقب بالصاعقة)، وكان قد سبق أن تعهد له قبل الحرب مع القرمان بدفع ثلاثمائة أقجة من حاصلات قره صو المجاورة لسلانيك نظير احتفاظه بأورخان أي مضاعفة مصاريف الأمير[23]، كما عقد معاهدة مع إمارة غلطة المجاورة للقسطنطينية من الشرق ويفصل بينهما مضيق القرن الذهبي، فضلًا عن تجديد المعاهدات مع الأفلاق وجزر مديللي وساقز ورودس والبندقية[24] لكي يتفرغ للاستعداد لفتح القسطنطينية، وحتى يأمن وقوف هذه القوى على الحياد عندما يشرع بفتحها، وعزل بيزنطة عن الدول والإمارات المجاورة لها [25]، لكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلي على المدينة.

الاهتمام بالأسطول: بذل السلطان جهودًا كبيرة للتخطيط لفتح القسطنطينية، وكان من خطط الفاتح في حروبه أنه قبل أن يهجم على مدينة أو قلعة يعمل على حصارها وعزلها وقطع خطوط الإمداد التي من الممكن أن تأتي إلى نجدتها. ولم يكن للعثمانيين أسطول يؤمن لهم السيادة في بحر مرمرة، فخلال معركة وارنة التي تآمرت فيها دول النصارى بمن فيهم امبراطور القسطنطينية يوحنا باليولوج على السلطان مراد الثاني، وكانت السفن البيزنطية والسفن الصديقة لها مثل سفن البابا وسفن البندقية تسيطر على المنطقة، اضطر السلطان للاستعانة بالأسطول الجنوي عدو البندقية، لنقل قواته وعتاده الحربي إلى الروملي عبر البوسفور ومعه أربعون ألفًا من خيرة جنوده مقابل دوقية ذهبية واحدة عن كل جندي [26]. وكان محمد الثاني في أدرنة في ذلك الوقت، وقد شهد بنفسه الهلع الذي أصاب المسلمين عندما سمعوا بالجموع التي أحاطت بهم من البر والبحر، وسمع والده قبل المعركة يقسم لئن كشف الله عني هذا البلاء لأزحفن لساعتي إلى القسطنطينية. وبعد انتصار السلطان العثماني على الصليبيين برّ بقسمه، فزحف إليها وحاصرها، لكن وسائله لم تعنه على فتحها، فكرر السلطان مراد الثاني لولده قبل وفاته وصية جده عثمان بفتح القسطنطينية. فكان أول عمل قام به هو تعزيز محمد الثاني أسطوله البحري بسفن جديدة تمهيدًا للفتح.

بلغ عدد السفن العثمانية على اختلاف أنواعها وأحجامها أربع مئة سفينة على تقدير المؤرخ الرومي فنتراس، إلا أن هناك تقديرات أخرى تتراوح بين 250 إلى 350 سفينة، لكن عدد السفن المسلحة تسليحًا تامًا بلغ عددها اثنتي عشر سفينة [27]. ووضعت القوات البحرية العثمانية بقيادة بلطة أوغلو سليمان بك ووقفت على مدخل الخليج الذهبي وكان عليها تدمير الأسطول البيزنطي المكلف بحماية الخليج. وبهذا لم يكن ممكنًا لأية سفينة أن تمر من البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسط أو بالعكس دون إذن من العثمانين، أو تتعرض لنيران المدافع المثبتة على طرفي المضيق. وهنا خشي الروم أن تدخل هذه السفن العثمانية إلى ميناء القرن الذهبي فقرر الامبراطور وضع سلسلة لإغلاق القرن الذهبي أمام السفن القادمة، فسدّوا مدخله

في الثاني من نيسان/ابريل 1453م بسلسلة ضخمة تبدأ من طرف المدينة الشمالي وتنتهي عند حي غلطة الجنوي[28] وهي مدينة محايدة، واحتمت سفنهم وراءها، وعهد إلى الجنويين بحراسة الميناء، وكان لهذه السلسلة شأن كبير ودور هام في الدفاع عن المدينة المحاصرة. ورأى الفاتح أن الطريق إلى القسطنطينية من ناحية الدردنيل لا تزال مفتوحة، فأمر بوضع سفن في بحر مرمرة لمنع أي سفينة نصرانية من تموين المدينة.

السيطرة على مضيق البوسفور وبناء قلعة الروملي: كان السلطان محمد الثاني عبقريًا عسكريًا، ويعرف أهمية السيطرة على مضيق البوسفور وضفتيه كشرط أساسي ومقدمة لفتح القسطنطينية، ومن أجل التحكم في الملاحة المارة في المنطقة، ولقطع المساعدات التي يمكن أن ترد لبيزنطة عن طريق البحر الأسود من مملكة طرابزون شمال شرقي الأناضول، وفرض حصار سياسي وعسكري واقتصادي عليها، وحتى تكون قاعدة لعملياته العسكرية. أمر السلطان ببناء قلعة "روملي حصار" في القسم الأوروبي من الأراضي العثمانية وعلى بعد خمسة أميال فقط من القسطنطينية، وقد اختطها السلطان بنفسه وأشرف على بنائها وكانت إنجازًا رائعًا، وبدأ العمل في بنائها في 21 آذار (مارس)، كان بناء القلعة يمثل العلاقة الحرجة التي وصلت إليها العلاقة بين الطرفين، وقد أدرك الامبراطور نية السلطان محمد، فما كان منه إلا أن أرسل سفيرين إلى السلطان للاحتجاج بأن بناء القلعة يعني خرق المعاهدة التي سبق أن عقدها والده السلطان مع الامبراطور البيزنطي، لكن السلطان بين أن ما يقوم به إنما تطلبه سلامة دولته وجيشه، وأنه لم يستهدف نشوب الحرب[29].

تم الانتهاء من بناء القلعة في أواخر تموز (يوليو) 1452 أي خلال أربعة أشهر وهي مدة قياسية وقصيرة[30] خاصة إذا علمنا أنها تشتمل على ثلاثة أبراج ارتفاع كل منها ما يقارب الـ27 مترًا ومساحتها 30م^2، وقد شارك السلطان بنفسه في عملية البناء، ليعطي دفعة معنوية قوية لحركة التشييد. وبمجرد الانتهاء من البناء ملأ القلعة بالأسلحة والذخيرة، ونصب فوق أبراجها المدافع الضخمة، انهمك السلطان بكليته في الاستعداد للحصار المقبل وهو مدرك أنه سيكون حصارًا طويلًا شاقًا، وعين فيروز آغا قائدًا للقلعة الجديدة وجعل معه قوة كبيرة من الجيش الإنكشاري، وأمره ألا يسمح لأي سفينة أجنبية بالمرور إلا بعد تفتيش دقيق ودفع ضريبة وإن رفضت يطلق عليها القذائف. تشددت حامية القلعة في تطبيق الأوامر، وفرضت سيطرتها على المنطقة[31]. وأثناء عملية إنشاء القلعة أمر السلطان بنصب المدافع الكبيرة والمجانيق التي سوف تشارك في الحصار بإشراف المهندس المجري أوربان الذي كان قد لجأ للعثمانيين وبالغ السلطان بإغداق الأموال والعطايا له مقابل صنع المدافع من بينها المدفع العملاق أو ما سمي بالمدفع السلطاني الذي كان أضخم مدفع عرفه التاريخ في ذلك العصر، بلغ وزنه سبع مائة طن ووزن قذيفته 12 ألف رطل ومرماه

يصل لميل واحد ويجره 60 ثورًا أو أكثر[32]، ليدك به أسوار القسطنطينية ووضع تحت تصرفه ما طلبه وكان يعاونه في عمله مهندسون أتراك[33]، ووجهت أفواه هذه المدافع إلى المضيق وإلى القسطنطينية، وبهذا يعدّ محمد الثاني مؤسس نظام المضايق. ولمّا عاد السلطان إلى أدرنة، أمر مهندسيه ومعهم المهندس أوربان بإجراء تجربة بالذخيرة الحية، لاختبار مدى صلاحية القلعة للصمود أمام أي هجوم. بعد اتمام البناء خرج بعض الجنود العثمانيين للتفرج على القسطنطينية فما لبث أن وقع بينهم وبين البيزنطيين المجاورين لأسوار المدينة بعض حوادث الشغب والعراك، فأمر السلطان بإرسال فرقة عسكرية تولت إبعاد البيزنطيين المجاورين للأسوار كذلك القرويين المجاورين للمدينة، فما كان من الامبراطور إلا أن قبض على الأتراك الموجودين داخل مدينته وأمر أيضًا بإخلاء القرى المجاورة وسحب سكانها إلى داخل المدينة وبإغلاق أبواب القسطنطينية من ناحية البر[34]. وهكذا فقدت المدينة الاتصال بالبلدان المحيطة بها فكان لزامًا عليها أن تعتمد على المؤن والذخائر والقوة الموجودة بداخلها.

كان قسطنطين ينظر من مدينته إلى القلعة الجديدة أثناء بنائها، ويراها تنمو كل يوم دون أن يستطيع منعها أو عرقلتها. وفي مواجهتها على الضفة المقابلة لها قلعة "أناضولي حصار"[35] التي بناها السلطان بايزيد الأول في القسم الآسيوي. ومن المعلوم أن الموقع الذي شُيدت فيه القلعتان المتقابلتان يعدّ أضيق نقطة في المضيق.

حلّ فصل الشتاء، واستحوذت على السلطان فكرة فتح المدينة فكان لا يتحدث إلا في هذا الأمر، ولا يأذن لأحد ممن يجالسه بالحديث غيره، وكثيرًا ما كان يجتمع بكبار القادة من جيشه ويباحثهم ويشاورهم. وأخذ السلطان يفكر بالخطوات التي سيقدم عليها لفتح القسطنطينية وأنجع الوسائل لهذا الفتح، على الرغم من الاعتراض الحذر من جانب الصدر الأعظم خليل جندرلي وفريق عمله على الفتح، الذي كان ميالًا إلى اتخاذ سياسة مهادنة مع بيزنطة، معللين أسباب ذلك بالخسارة الفادحة التي ستلحق بهم من جراء مواجهة صليبية جديدة، وأن الإقدام على هذا العمل هو مغامرة غير مأمونة الجانب، وأن المساعدات التي قد تصل إلى القسطنطينية من كل أنحاء أوروبا يمكنها جعل المدينة تصمد أمام الحصار كما صمدت من قبل. إلا أن السلطان كان مصممًا على الفتح، لأنه كان متأثرًا بأفكار مربيه زاغنوس الذي شجعه على سلوك طريق الفتح والذي كان يرى أن الدول المسيحية غارقة في خلافاتها وأنها لن تستطيع نبذ هذه الخلافات لإرسال الجيوش وإنقاذ المدينة[36]. فإذا بالسلطان، في إحدى الليالي، يحمل خريطة القسطنطينية، وأخذ يرسم عليها المواقع المهمة، وما يلزمها من معدات عسكرية، ويحدد أماكن الألغام وأمكنة وضع السلالم على الأسوار، ويضع الخطط للتغلب على قوة دفاعها، وقد انتهى من أفكاره وخططه هذه خلال أربع وعشرين ساعة[37].

وبينما الاستعدادات العثمانية متواصلة في أدرنة لفتح القسطنطينية، كان الوضع

في القسطنطينية مضطرب أشد الإضطراب، لا سيما عندما أمر السلطان بإلغاء الراتب المخصص لأورخان[38]، فأحس الإمبراطور بالخطر، وانهمك عندئذٍ في تحصين مدينته وإصلاح أسوارها، وجمع ما يملك من سلاح ومؤن وذخائر، وحاول أن يحصل على العون من الغرب دون جدوى؛ فأرسل مبعوثيه إلى حكام أوروبا لمساعدته ونجدته، لكن المصالح أدت دورًا في عدم تلبية النداء. وبعث إلى البابا نقولا الخامس يستنصره وذكر له قبوله لما اتفق عليه في مجمع فلورنسة من أمر توحيد الكنيستين، إذ اشترط البابا لقاء مساعدته أن تخضع له الكنيسة الشرقية البيزنطية[39] وطلب من البابا أن يرسل له على وجه السرعة خمس عشرة بارجة حربية مع خمسمائة جندي مسلح وألف من الرماة[40]، لم يستجب البابا لكل مطالب الامبراطور فاكتفى بإرسال الكاردينال ايزودور إلى القسطنطينية ومعه مائتا مقاتل وقد أحسن قسطنطين استقبالهم، فتوجه هذا الكاردينال إلى كنيسة آياصوفيا، وأقام فيها الصلوات على الطريقة الكاثوليكية احتفالًا بتوحيد الكنيستين، فاستشاط رعايا الإمبراطور غضبًا وهم المتمسكون بمذهبهم الديني وقال رئيس حكومته نوتاراس قولته الشهيرة: "إني أفضل رؤية العمامة التركية في القسطنطينية على رؤية القبعة اللاتينية"[41].

إثر هذه الصلوات هجرت كنيسة آياصوفيا من رعاياها، وتبعت الكاردينال ثماني سفن من جزيرة كريت تحمل النبيذ واللوازم للمحاصرين. وكثرت الأقاويل والنبوءات عن العذاب الذي سيلحق ببيزنطة إذا تم اتباع الملة الغربية، وهي تقول بسقوط الامبراطورية وبغضب الله إذا سيطرت روما على مدينة قسطنطين. وتناقل الناس الأقاصيص والخرافات والأساطير بشأن ذلك[42]. ومما ساعد على انتشار الخوف والرعب بين أهل القسطنطينية سماعهم بالاستعدادات الضخمة التي يعدها السلطان محمد لحصار مدينتهم، وزاد من مخاوف الروم، وهم أهل إيمان ويؤمنون بالخرافة ويتطيرون، ما شاهدوه من الظواهر الغريبة التي ظهرت في تلك الآونة، إذ أحسوا بهزات أرضية عنيفة، وكثر البرق والرعد وهطلت الأمطار الكثيفة، وهبت رياح عنيفة عاتية، وخيل للسكان أن نجومًا جديدة قد ظهرت في السماء تلمع وتختفي وأخرى ثابتة كأنها تنفث الدخان، وتبللت التماثيل والآثار الدينية في الكنائس كأنها تنضح عرقًا، وظهرت غيرها من الظواهر الغريبة الشاذة. وكان رجال كنيسة الروم يقولون: "إن ملاكًا سماويًا سيحمي أهل المدينة، وقد يدخل الكفرة المدينة إلا أنه فور دخولهم سينزل عليهم ملاك أزرق من السماء ويمحوهم عن آخرهم". لقد عمت الهستيريا عقول الناس، فكثرت أقاويلهم المتشائمة، وهلعت قلوبهم، وكثرت التنبؤات عن مصير المدينة سيئة الحظ، وتزايدت النذر باندثار أعظم مدينة مسيحية[43].

في 26 كانون الثاني وصل إلى القسطنطينية فجأة المغامر الجنوي جان جستنيان متطوعًا[44] ومعه أربع مئة من أصحابه المغامرين وثلاث مئة مغامرين آخرين للدفاع عن القسطنطينية، عندما علم

بما أحاط بها من مخاطر، فسرّ الإمبراطور لمقدمه ووعده بأن يكافئه بجزيرة إذا ما صدّ الأتراك، وعينه قائدًا للقوات البيزنطية البرية، وأصبح مسؤولًا عن حماية أسوار القسطنطينية وحراستها، وبخاصة القريبة من القصر الامبراطوري. وبدأت ترد إلى القسطنطينية بعض النجدات هدأت بعض مخاوف السكان منها مجيء سفينتين بندقيتين استطاعتا أن تمرا إلى البوسفور وتستقرا في القرن الذهبي ولم تستطع البحرية العثمانية منعهما. وبلغ عدد المدافعين عن القسطنطينية بين 5000 أو 8000 فليس لدى المدينة من الجنود المدربين إلا العدد القليل، إضافة إلى بضع مئات من الذين انضموا لهم من المتطوعين في حين كان عدد سكان المدينة يتراوح بين 60 أو 70 ألفًا لكن هذا الشعب كان متخاذلًا تعوّد سماع مواعظ الرهبان المؤمنين بالخرافات فكان أثناء محنته ينتظر حصول معجزة[45]، ومن المدافعين قوات الأمير أورخان التي بلغت نحو ستمائة فرد، ونحو 39 قطعة بحرية تدافع من ناحية البحر[46]، وبعض المدافع الثقيلة[47]، لقد كان لدى البيزنطيين مدافع لكنها كانت بدائية وأضعف من أن تقوم بالدور الفعال الذي كانت تلعبه المدافع العثمانية.

ازدادت مخاوف قسطنطين من الحرب وبعث إلى السلطان يتوسل منه أن يكف عن أعماله في بناء القلعة لأنها نقض لما بينهما من العهد، فعمد الامبراطور استرضاءً للسلطان الغاضب بمدّ العمّال الأتراك بالأغذية، ولما لم يجد ذلك نفعًا، أخذت القوات البيزنطية في محاولة للإعتداء على التحصينات وحاولت هدم القلاع التي قام بها السلطان محمد الثاني، مما جعل السلطان يعلن رسميًا الحرب على الإمبراطورية البيزنطية[48]. ولأجل اختبار قوة البيزنطيين ومدى استعدادهم للحرب وللإحداث وقع نفسي على الروم، إضافة لاختبار رد فعل دول أوروبا الغربية، ناور السلطان العثماني عسكريًا، فظهر الفاتح فجأة بجوار أسوار القسطنطينية في 28 آب (أغسطس) 1452 بجيش يبلغ خمسين ألفًا[49]، كما أرسل السلطان فرقة عسكرية بقيادة قراجة بك مهمتها الإستيلاء على كل المدن والحصون في تراقيا حتى يحمي مؤخرة جيشه، كذلك احتل كل المدن الواقعة على البحر الأسود وبحر مرمرة[50]، وكان فيما سبق، قد أصدر السلطان أوامره تطهير المناطق المجاورة للمدينة، وبعد ثلاثة أيام رجع إلى أدرنة يتابع إكمال معداته للحصار بعد أن أعطى تعليماته لقواده، ولم يقم الرومانيون بأية حركة معادية. وكلف طورخان باشا وأبناءه بالهجوم على المورة حتى لا يتيح لشقيقي الامبراطور الحاكمين هناك توماس وديميتريوس بأن يقدما أي مساعدة للقسطنطينية[51].

إهتمام السلطان بجمع الأسلحة والجيش: اهتم السلطان في تقوية الجيش العثماني بالقوى البشرية حتى وصل تعداده إلى مائتين وخمسين ألفًا، برغم أن بعض المؤرخين يقدرون أن القوات العثمانية التي اشتركت في الفتح بين الـ70 ألفًا إلى مائة وخمسين ألف[52]، وأعاد تنظيم كتائب

الجيش وطورها ووضع سجلات خاصة بالجند، واهتم بتدريبهم أحسن تدريب، وزاد من مرتباتهم وأمدهم بأحدث أسلحة ذلك العصر منها المدفع العملاق (الهاون وهو أول مدفع من هذا النوع في التاريخ)، واستخدم كل جديد في فنون الحرب من مدفعية وآلات الحصار الضخمة[53]. كما اهتم السلطان بالحالة النفسية لجنوده، فكان حماس الجيش العثماني للقتال عظيمًا، وقد سيطرت على الجنود فكرة الجهاد في سبيل الله، وإعزاز دينهم، ورغبوا بالشهادة والثواب، ووثقوا بالنصر، وشاركهم حماسهم الشيوخ والعلماء وشدوا من أزرهم وحضوهم على الجهاد، وإخلاص النية، وكان السلطان أكثرهم يقظة وتفكيرًا في أمر المعركة.

منذ شهر شباط 1453 بدأت بوادر الحرب تظهر، وذلك إثر إتمام السلطان تنظيم خطوط مواصلاته وتأمين خلفية الجيش، ونصب المدافع أمام القسطنطينية على بعد خمسة أميال[54]. وفي بداية شهر آذار (مارس) أرسل السلطان لأمراء السناجق والولايات بالخروج إليه لمحاصرة العاصمة البيزنطية، وما إن شارف الشهر على نهايته حتى كانت استعداداته لفتح القسطنطينية قد تمت، فجمع في قصره في أدرنة قواد جيشه، ورسم لهم خطته، وبين لهم أن قوة الامبراطورية البيزنطية قد اضمحلت، وأنه لم يبق أمامهم سوى الاستيلاء على هذه المدينة في سبيل القضاء على هذه الامبراطورية، وأن الظروف السياسية والحربية لصالحهم، وأن لدى العثمانيين الإمكانات والإستعداد الكافي لتحطيم مقاومة أعدائهم، وعليهم كعثمانيين الإسراع بإنجاز هذا الأمر قبل أن تستعد أوروبا للقيام بنجدة المدينة، وقبل أن تصلها الإمدادات والمؤن التي قد تطيل أمد الحصار[55].

- الحصار والفتح

بعد تأهب واستعداد ما يقارب العام، ومن أدرنة عاصمة السلطان الأوروبية حيث تجمعت الجنود العثمانية من فرسان ومشاة، جنود نظامية وغير نظامية. زحف السلطان العثماني بجيشه إلى القسطنطينية، وعلى مشارف المدينة خطب بالجيش خطبة استحث بها جنوده على الجهاد وصدق القتال، وأبان لهم الآيات والأحاديث المبشرة بالفتح. وكان في طليعة الجيش الشيوخ والعلماء يتقدمهم الشيخ آق شمس الدين، الذي يعدّ الفاتح الروحي للقسطنطينية[56]، والشيخ آق بيق ده، والمولى أحمد الكوراني، والمولى خسرو، فدعوا الله مخلصين أن ينصر جيش المسلمين.

في الخامس من نيسان (ابريل)، وبعد الفجر بساعة[57]، ظهر الجيش العثماني أمام أسوار القسطنطينية وأقام معسكره أمام الأبواب الثلاثة الكبرى للمدينة على بعد ميل ونصف. يتقدمهم السلطان محمد الثاني ومعه 80 ألف جندي (60 ألف فارس و20 ألف مشاة) حسب تقدير المؤلف اللاتيني فليلفوس المعاصر الدقيق [58]، منظمين تنظيمًا رائعًا ومعهم 200 مدفع، وبدت الفرق في راياتها وطبولها وأبواقها وخيلها ومدافعها. وشرع السلطان بتنظيم جنده ووزع آلات الحصار ووضع كل شيء

في موضعه. ونصب السلطان سرادقه أمام باب طوب قبو (رومانوس)[59] وكان أحد أكبر مدافع السلطان قد نصبت في مواجهة هذه البوابة، وكانت فرقة الجيش من عساكر الإنكشارية وجنود مختارة وتعدّ قلب الجيش، فكانت تحت قيادته وتحتل المنطقة الوسطى من السور بين باب أدرنة إلى باب طوب قبو (رومانوس)، وسلطت المدافع القوية على ذلك الباب وهي أضعف نقطة في الدفاع عن المدينة. وأمر السلطان أسطوله الضخم المكوّن من 320 سفينة حربية من مختلف الأحجام وعليها 20 ألفًا من الجنود البحرية[60]، فعبر بحر مرمرة إلى البوسفور وأرسلت مراسيها. وأحكم السلطان قبضته على المدينة برًّا وبحرًا ومنع اتصالها بالبلدان المجاورة لها[61]، لكن في واقع الأمر أن الحصار لم يكن مكتملًا بسبب سد الخليج أمام السفن العثمانية بسلسلة حديدة كبيرة من قبل البيزنطيين بعد وصول السلطان بوقت قصير قرب العاصمة المحاصرة [62].

في اليوم التالي (الجمعة في السادس من نيسان (ابريل) 1453) بدأ السلطان بجيشه محاصرة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية. وحاول إقناع الإمبراطور قسطنطين بالتسليم، وتعهد له بأن يحترم سكانها ويؤمنهم على أرواحهم وممتلكاتهم، لكن مع رفض الامبراطور بدأ الحصار الفعلي للمدينة. ثم أعطي الأمر في اليوم الثاني عشر للمدفعية بالقصف [63]، وظلت المدفعية تقصف الأسوار ليل نهار لمدة أسبوعين في محاولة لفتح فجوة داخل الأسوار لينفذ منه الجنود ويستطيعوا الدخول إلى القسطنطينية، كان المدافعون يسارعون لسدّ الثغرات المحدثة تحت قيادة جستنيان الجنوي والامبراطور نفسه. وكان لدويها صدى مرعب في نفوس الروم. وحاول الأتراك العثمانيون عبور الخندق بعد ملئها بالحطب والأحجار، ودخول السور من ثغرة صغيرة في اليوم الثامن عشر إلا أنهم تعرضوا للنار من السهام المحرقة وقذائف المدافع البيزنطية، علاوة على أنهم فشلوا في تحطيم السلسلة الحديدية الضخمة في بحر مرمرة على مدخل القرن الذهبي.

بعد بدء الحصار بأسبوعين، أي في اليوم العشرين من نيسان (ابريل) ظهرت في بحر مرمرة خمس سفن نصرانية قادمة من أوروبا تحمل المؤن والمعدات والرجال؛ أربع منها بعثها البابا وجنوا لمساعدة القسطنطينية، والخامسة سفينة بيزنطية، وحدثت معركة بحرية بين الطرفين انهزم فيها بلطة أوغلي قائد البحرية العثمانية، ولم تستطع السفن العثمانية برغم عددها الكبير من منع السفن الحربية الكبيرة من الدخول إلى القرن الذهبي[64].

ارتفعت بهذا النصر معنويات البيزنطيين، ووثقوا بأن العثمانيين لا يمكنهم أن ينالوا منهم من ناحية البحر. لم يؤثر هذا الفشل على معنويات السلطان وجنده، فعيّن حمزة بك قائدًا جديدًا للأسطول العثماني، ودفع هذا الفشل بالوزير الأعظم ليعرض مخاوفه من تدخل الأوروبيين لصالح القسطنطينية، لكن تأخر وصول المساعدات الأوروبية حتى هذا الوقت

رجحت كفة مربي السلطان زاغنوس باشا بأن الفتح واقع لا محالة، وأنه ينبغي اتخاذ طرق غير تقليدية لفتحها، وكانت هذه الحادثة دافعًا لكي يفكر السلطان محمد في خطة عسكرية شهد لها الجميع بالبراعة.

إذ تم نقل 67 سفينة من السفن الخفيفة عبر البر بأمر من السلطان، من ميناء السفن في بشكطاش العثماني، في مضيق البوسفور إلى القرن الذهبي لتفادي السلسلة الحديدية البحرية التي تغلق الخليج، وهكذا تمت هذه العملية ليلة 21-22 نيسان/أبريل بوضع أخشاب مطلية بالزيوت على طول المنطقة البرية، ثم جرت السفن عبر التل من جهة غلطة إلى قاسم باشا داخل الخليج في مواجهة الميناء البيزنطي، بعد أن قامت بفرد أشرعتها، وتم سحب السفن لتنزلق على هذه الأخشاب في جنح الظلام خلال ليلة واحدة، مسافة ثلاثة أميال، ولإشغال الأعداء عن هذه العملية المفاجئة أمر الفاتح بقرع الطبول، إضافة لقذف مدافع الهاون لأسوار القسطنطينية. فأنزلت السفن الواحدة تلو الأخرى إلى داخل الخليج الذهبي وفوجئ البيزنطيون بمنظر السفن العثمانية في مينائهم في الصباح وأحدثت انهيارًا في معنوياتهم (65)، وبذلك أضحت العاصمة البيزنطية محاصرة من كل الجهات.

يصف المؤرخ البيزنطي دوكاس الذي عاصر هذه الحادثة: "من رأى مثل هذا العمل من قبل؟ أو حتى سمع به؟" (66).

وفي الليلة التالية أي ليلة 23 نيسان/ابريل، وخلال ليلة واحدة فقط، نصب الأتراك جسرًا عبر الميناء بجوار غلطة حتى أسوار القسطنطينية له سياج من الأوتاد، مستخدمين في صنعه البراميل الخشبية، وعبر استعمال أعمدة خشبية طويلة تمتد من جانب لآخر، تم ربطها وشدها بقوة لتصنع في النهاية جسرًا قويًا، وكان عرض هذا الجسر يكفي للعبور فوقه خمسة من الفرسان العثمانيين إلى الجانب الآخر من دون صعوبة ومهاجمة المدافعين البيزنطيين.

واستطاع العثمانيون إحباط محاولتين لإحراق سفنهم داخل الخليج، إذ أمر الامبراطور ليلة 28 نيسان بإبادة الأسطول العثماني الذي نزل الخليج، وتدمير الجسر الذي تم بناؤه مهما كلف الأمر ولم تنجح هذه المحاولة، بل على عكس ذلك لم يدمر الجسر، ولم تغرق سفينة واحدة، وفقد البيزنطيون 150 بحارًا أثناءها(67)، وهكذا أخذ العثمانيون يهاجمون أسوار المدينة من ناحية البحر إضافة لقصفهم لها من البر.

لجأ الفاتح لعمليات عسكرية أخرى، منها نقب الأرض تحت الأسوار، وإدخال الجنود من هذه الأنفاق المحفورة في عدة أماكن. لكن عرف البيزنطيون بها، ولما وصل الجنود العثمانيون إلى الطرف الآخر فوجئوا بالزيت المغلي يصبّ عليهم ويحرقهم، برغم ذلك لم يفت في عضد الجيش العثماني ولم ييأس الفاتح، وكان دائمًا مع جنوده يشرف بنفسه على العمليات العسكرية ويشدّ أزرهم. واستمرت المحاولات لفتح ثغرة في الأسوار أو لنصب السلالم عليها لتسلقها.

من وسائل الحصار التي ابتدعها الفاتح وفاجأ بها أعداءه، القلعة الخشبية. إذ استيقظ أهل القسطنطينية في صباح اليوم

الحادي والعشرين من أيار/مايو وهم يرون أمامهم قلعة ضخمة من الخشب أكثر ارتفاعًا من السور الخارجي، ذات ثلاث طبقات، وكسيت كلها بالجلود السميكة المبللة بالماء حتى لا تؤثر فيها النار والنبال، وكان الجنود فيها يحملون القذائف ومعدات القتال، وتحمل في أسفلها التراب والأحجار والأخشاب لردم الخنادق المحيطة بالسور الخارجي، وفي أعلاها سلالم من الحبال ربط في أطرافها كلاليب لتتعلق بأعلى السور إذا ما ألقيت فتنغرز فيه، ويصعد بواسطتها الجنود لأعلى السور، بينما رماة النبال يصوبون نبالهم إلى كل من يظهر رأسه على السور من الجنود البيزنطيين، واستغل العثمانيون عدم استطاعة البيزنطيين استعمال المدافع فوق السور لأن اهتزازها عند إطلاق مدافعها قد يزلزله ويهده. وارتاع أهل القسطنطينية من منظر هذه القلعة القوية الشامخة، ونظروا إليها في رعب وعجب مما يشاهدون وهم لا يصدقون وإلى أي قديس يلجأون ليحميهم من العثمانيين، ووصف المؤرخ البندقي بابارو هذه القلعة بأنها "إذا ما رغب كافة النصارى في القسطنطينية في إقامة أي برج على هذا المستوى، فإنهم لن يستطيعوا إقامته في شهر واحد، لكن الأتراك فعلوها في ليلة واحدة". في الواقع فقد شيّد العثمانيون البرج في أقل من أربع ساعات، وكان لهذا البرج مساهمة فعالة في الاستيلاء على المدينة(68).

أقيمت هذه القلعة/البرج أمام باب طوب قبو (أي باب المدفع ويسمّى أيضًا باب رومانوس)(69) ، وكان قد كلف بالدفاع عنه القائد الجنوي جستنيان وفرقته. واقتربت القلعة من السور وكان الجنود يصيحون أثناء هجومهم صيحات مرعبة، ولم يكن بإمكان المحاصرين إصلاح الثغرات الخارجية من السور التي تقصفها المدافع التركية، ولاح للامبراطور أن الهزيمة على وشك الوقوع، وطلب إحضار مواد سريعة الإشتعال، وقذف بها المدافعون القلعة الخشبية فما لبثت أن احترقت الجلود المبللة التي كسيت بها والتهمتها النيران، فانسحب الأتراك وفرح قسطنطين ومن معه بهذا النصر، وعمل المدافعون على إصلاح ما تهدم من السور والبرج، وما إن رأى السلطان قلعته قد باتت رمادًا حتى ابتسم وقال: "غدًا نصنع أربعًا أخرى غيرها"(70).

استعمل كل سلاح ضد الأسوار، ومزجت كل الأساليب الحربية القديمة مع ما كان يعدّ عصريًا في تلك الفترة، فاستعملت المدافع مع المنجنيقات التي كانت تقذف الحجارة، والمدفعية تقذف الحمم والنيران السائلة. كما كثف السلطان مدافعه وقذائفه أمام باب طوب قبو وعلى الميناء. وهكذا كلما ظن أهل القسطنطينية أنهم نجوا من الخطر برز أمامهم من جديد، وزاد من شدة محنتهم تناقص المواد التموينية داخل المدينة. ما لبث أن أنهك التعب الجنود البيزنطيين واللاتين، واستبد اليأس بأهل المدينة وكثرت النبوءات التي تحبط نفوسهم. وبعد ستة أسابيع من الحصار والقصف، تبينت مواقع الضعف في أسوار المدينة بعد فتح عدة ثغرات في السور وكانت ثلاثًا، وهي: الأول ما بين تقفور سراي وباب

أدرنة، والثاني في وادي ليكوس عند باب طوب قبو (باب رومانوس) وهو أكثر المواقع تهدمًا، والثالث بالقرب من باب العسكر.

في 26 أيار/مايو حضر من المجر إلى السلطان وفد باسم المسيحية، وهددوا بأن تحالف الدول الأوروبية من أسطول وجيش أكمل استعداداته لاجتياز الطونة لنجدة القسطنطينية، لكن هذا التهديد جاء بعد فوات الأوان. وكرر الوزير الأعظم خليل باشا نصيحته للسلطان محمد بأن يرفع الحصار ويفرض شروطه، لكن شيخ السلطان آق شمس الدين عارض ذلك بشدة، وزيدت كثافة قصف المدافع العثمانية على المدينة المحاصرة[71]. وأرسل السلطان الفاتح رسله إلى الامبراطور يطلب منه تسليم المدينة للمرة الثانية عندما أيقن بقرب النصر، حقنًا للدماء، ويعرض عليه إمارة تساليا يحكمها كتابع له، لكن الامبراطور فضل الموت مدافعًا عن مدينته. عندئذ عقد السلطان محمد مجلسًا حربيًّا لتدارس الموقف وانتهى بقرار بدء الهجوم حتى لا يتسرب اليأس إلى نفوس الجنود بسبب طول الحصار.

قرر السلطان الهجوم النهائي في يوم 29 أيار/مايو، وقبل هذا الهجوم بيومين طلب الفاتح من جنوده بأن يصوموا تطهيرًا لهم وتزكية لنفوسهم (يوم الأحد 27)[72]. واستمر طواف الشيوخ والعلماء بين صفوف الجند طوال مدة الحصار يقرأون عليهم آيات الجهاد، ويشدّون من أزرهم ويلهبون حماسهم في الجهاد، ويشجعونهم. وأمر السلطان الفاتح تكثيف اطلاق مدافعه لقذائفها وبخاصة على المواقع التي رممها المحاصرون، وجال الفاتح سور القسطنطينية من بحر مرمرة إلى القرن الذهبي يتفحص أجزاءه بدقة، وأكمل استعداداته للهجوم العام يوم 28 أيار (مايو). وفي اليوم التالي عقب صلاة الفجر وبعد دعاء الله لتحقيق النصر، وخطاب قصير من السلطان لجنوده، كان وقعه كالكهرباء في أعصاب ودماء الجنود، وكل ذلك أوتي ثمره، بدأ الهجوم وانطلق الجنود فتجسد أمواجًا متعاقبة يتسلقون الأسوار البيزنطية، من البر والبحر بعد ردم الخندق والقاء الجسور والسلالم الخشبية عبرها، تلتطم بها وترافقها المدفعية العثمانية الثقيلة، والمنافسة من الجنود على الفوز باحدى الحسنيين، يصعد مدويًّا الهتاف باسم "الله أكبر" والتنادي أن "لبيك أبا أيوب"، وكانت أشد المعارك وأعنفها قد ركزت نحو وادي ليكوس بين باب طوب قبو وباب أدرنة وكان السور في الجانب الملاصق لباب طوب قبو قد تهدم كثيرًا[73]، وقد جعل الفاتح جنوده يقاتلون عند هذه المنطقة على ثلاث دفعات حتى أنهك المدافعين، وفي الجهة المقابلة كان جستنيان قد تحصن مع قوة كبير عند هذا الباب. وكانت أشعة الفجر قد بدأت تنير المكان، واندفع الجنود يهجمون على السور، وحمي وطيس المعركة وبلغ أقصاه عند هذين البابين وأخذ يقاتل كلا الطرفين بتضحية كبيرة مستميتين في القتال. وما لبث أن أصيب جستنيان الجنوي بجرح عميق عجز عن احتماله فقرر الانسحاب من المعركة لتضميد جراحه وطلب من الامبراطور تسلم القيادة، وفزع قسطنطين

لذلك، إلا أن إصرار جستنيان جعله يقبل، وتوفي لاحقًا جستنيان بعد أن نقل إلى سفينته الراسية خلف السلسلة، وكان لذلك أثر على جنوده الذين انسحبوا من المعركة.

ازداد هجوم الإنكشارية واشترك السلطان بنفسه في المعركة، وكانت أصداء تكبيرات الغزاة الدراويش والعلماء في صفوف الجيش العثماني تلهب حماس الجنود ويتلون آيات القتال والجهاد، ويتجول بينها معلما السلطان: آق شمس الدين والمولى أحمد الكوراني. ولم يكن القتال البحري أقل عنفًا وشدة، فقد أخذت السفن العثمانية التي يقودها أمير البحر حمزة باشا في بحر مرمرة والسفن الراسية في القرن الذهبي أمكنتها من السور وأخذوا يطلقون قذائفهم ونبالهم، وهبّ الجنود يتسلقونه بالسلالم والحبال وغيرها والتحموا في قتال عنيف مع المدافعين، مما أثار فزع أهل القسطنطينية.

لم يمض وقت طويل حتى سقطت الحصون المنيعة أمام الفاتحين. وانطلقت من جهة الشمال للسور صيحات عالية سرت في جميع أنحاء المدينة وهي تنبئ بدخول الأتراك، ويجتاز الجنود أكبر قلاع القرون الوسطى المتينة، وينتشرون داخلها وهي التي شكلت جوهرة المدن. ورفرفت الأعلام العثمانية على بعض الأبراج القريبة من باب أدرنة، وخلع الامبراطور رداءه الامبراطوري وأخذ يقاتل، وما لبث حتى أرداه أحد الجنود الأتراك. وانهارت عزائم المدافعين واستسلم بعضهم ولاذ بعضهم الآخر بالفرار ملتمسين النجاة لأنفسهم، واحتمى عدد كبير من البيزنطيين داخل كنيسة آياصوفيا منتظرين انشقاق الجدار وظهور مَلَك بيده سيف ليخلصهم من الأتراك. وأما أورخان فقد تم قتله من قبل أحد قباطنة السفن العثمانية[74].

هكذا انتهى الحصار بعد ثلاثة وخمسين يومًا غداة يوم الثلاثاء الرابع عشر من رمضان عام 857 للهجرة الموافق 29 أيار/مايو عام 1453 للميلاد[75]. ووقف السلطان على صهوة جواده يرقب دخول جنوده المدينة، وأقبل كبار رجالاته وقد علت الفرحة وجوههم يهنّئونه بالنصر والفتح، وانتظر الجيش بنظام الصفوف قدوم السلطان أمام آياصوفيا، ولم يعتد الجيش على أحد من عشرات الألوف من البشر المجتمعين في الكنيسة، وانتظر أوامر سلطانه بشأن هذا الشعب.

بفتح القسطنطينية سقطت الامبراطورية البيزنطية بعد أحد عشر قرنًا ونصف القرن تقريبًا. ودخل السلطان الفاتح المدينة وهنأ جنوده بالنصر، ونهاهم عن القتل والسلب وأن يكونوا أهلًا للشرف الذي حباهم به الرسول[ص]، وسجد لله شكرًا على ما منحه من توفيق ونصر، ثم استأنف سيره إلى كنيسة آيا صوفيا[76]، ووصلها وقت الظهر ودخلها بصفة فاتح وامبراطور روما، وأمن أهل القسطنطينية على أرواحهم ووعدهم بحرية إقامة شعائرهم الدينية والاحتفاظ بأملاكهم، وأمرهم أن يعود كل منهم إلى ما كان يمارسه من قبل من عمل وحرفة، كما أمر بتحويل كنيسة آياصوفيا إلى مسجد[77]، وبتغطية الصور داخلها بطبقة من الكلس، وأمر أحد العلماء الذين كانوا

برفقته بأن يؤذن وأدى فيه صلاة العصر، ثم أعلن أن أول صلاة جمعة قادمة ستقام فيه. كان ذلك يوم 1 حزيران/يونيو حيث أقيمت أول صلاة جمعه في آياصوفيا وتلا الخطبة الشيخ آق شمس الدين باسم الفاتح.

أرسل الفاتح رسائل إلى حكام الديار الإسلامية يخبرهم فيها بهذا النصر المبين، فعمّ الفرح والابتهاج بين المسلمين. وقد اهتدى الشيخ آق شمس الدين بعد الفتح إلى قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري بموضع قريب من سور القسطنطينية، فأمر الفاتح ببناء مسجد جامع والقبة على ذلك الموضع، وما إن تم البناء حتى قصد إليه الفاتح وأدى فيه الصلاة، وهناك نهض الشيخ آق شمس الدين وسلم إليه سيف "عثمان الغازي"، وجرت العادة بعد ذلك أن يكون تقليد السلطان الجديد وتنصيبه في ذلك المسجد(78).

– أعمال الفاتح بعد فتح القسطنطينية

نجح العثمانيون في فتح القسطنطنية، وقرر الفاتح أن يتخذ من القسطنطينية عاصمة لدولته، بل العاصمة الاسلامية الكبرى، فاستبدل اسمها باسم اسلامبول ثم حرّفت إلى استانبول، وهي كلمة تركية معناها "دار الإسلام"، وأصبحت الأستانة موئلًا للثقافة الإسلامية ودارًا لطباعة المصحف العثماني الشريف، ومقرًا لشيوخ الإسلام، ومركزًا للفتوحات في القارة الأوروبية. وأكد الأتراك بأنهم لا ينتسبون سوى للإسلام وتراث الإسلام وحضارة الإسلام. أعاد الفاتح للأرثوذكس حقّ انتخاب رئيسهم الذي يشرف على شؤونهم، وكان جناديوس أول بطريرك لهم بعد الفتح، وأصدر الفاتح فرمانًا أمنه فيه على نفسه وجعله في رتبة الوزراء، وعهد إليه بالنظر في أمور الروم من الناحيتين الدينية والمدنية، فأصبح بذلك زعيمًا دينيًّا وسياسيًّا لشعبه، وكان هذا امتيازًا للكنيسة الأرثوذكسية. وجعل الكنيسة الأرثوذكسية تقف على أقدامها منافسة للكاثوليكية. وعمل على بقاء الجالية الجنوية وما كان لهم من امتيازات وزاد عليها، واتبع الفاتح سياسة التسامح الديني حتى يتسنى له الاستفادة من العناصر النصرانية التي أخذت تتحول إلى رعية السلطان.

خلع المسلمون على السلطان محمد الثاني لقب الفاتح بعد فتحه للقسطنطينية بينما لقبه ملوك أوروبا باسم امبراطور الروم لأنه جلس على عرش بيزنطة. واهتز الغرب لهذا الفتح وشعر الملوك والأمراء شعور الهلع والألم والخزي بعد أن سقط الحصن الذي طالما حمى أوروبا من آسيا أكثر من ألف عام، وتوجسوا أن يكون انتصار السلطان العثماني بداية لتوغل العثمانيين في أوروبا، إثر ذلك كتب البابا نيقولا الخامس خطابًا إلى جميع الحكّام الأوروبيين طالبًا منهم تشكيل اتفاق صليبي، وحاول خليفته بيوس الثاني تجديد دعوة سلفه، لكن النزاعات بين ملوك أوروبا وأمرائها حالت دون تحقيق الهدف.

حرص الفاتح على أن تعود الحياة لاستانبول بسرعة، فبدأت أعمال تعمير المدينة ابتداء من 2 حزيران/يونيو 1453، وعمل على أن تستفيد من المزايا العسكرية والاقتصادية التي كانت تتمتع بها. وأمر السلطان بنقل جماعات كثيرة من مختلف

أنحاء الدولة إلى العاصمة الجديدة للإسهام في إعادة إنعاشها، ورجع بناء على دعوة منه، عدد من الروم الذين نزحوا عن ديارهم قبل الفتح. وأطلق سراح الأسرى فورًا نظير مقابل العمل في اعادة اعمار المدينة على أساس تسديد فديتهم(79)، فأخذت المدينة تعجّ بالنشاط من جديد. وعندما أبيحت المدينة للجنود ثلاثة أيام عقب الفتح، كان هذا الإذن مقتصرًا على الأشياء غير المعنوية، حسب أوامر السلطان لم تهدم كنيسة، ولا صومعة، ولا دير، ولم تغتصب امرأة ولم يمسّ شيخ عجوز ولا طفل ولا راهب بأذى، برغم أن المدينة أخذت بالحرب ورفضت السلم. كما تم بناء عشرة مساجد فيما بعد في العاصمة استانبول(80) وذلك حتى العام 1459. أضيفت إلى كل المساجد التي شيدها الفاتح مكتبات حافلة بشتى كتب الآداب الإسلامية، وألحقت بها معاهد للتعليم تتسع لسكنى الأساتذة والطلاب ومستشفيات ومطاعم للفقراء وخانات وحمامات وآبار، وأعاد إنشاء الأسوار المحيطة بها، وبنى عند طرف العاصمة الجنوبي الغربي بمحاذاة بحر مرمرة، قلعة الأبراج السبعة التي تحولت لاحقًا إلى سجن للدولة، كما أنشأ الفاتح أحواضًا لبناء السفن ودور صناعة (مخازن للسلاح). وأخذ في بناء قصر جديد سنة 1464 شرقي العاصمة(81).

– خاتمة

كان لسقوط القسطنطينية دوي كبير، سواء في الشرق الإسلامي، أو في الغرب المسيحي، ويعدّ هذا الفتح أكبر وقائع التاريخ العالمي، وحدًّا فاصلًا بين نهاية العصور الوسطى وبداية تلك الحديثة. جعلها الفاتح عاصمة لدولته بعد أن محى آخر صفحات الامبراطورية البيزنطية. كان لهذا الفتح أثر إيجابي كبير في نفوس المسلمين الذين رأوا في محمد الفاتح بطلًا مسلمًا عظيمًا.

وكان دور مدفع الهاون حاسمًا في ترجيح كفة المعركة لصالح العثمانيين، وهو اختراع عثماني حديث مروع غيّر مجرى التاريخ. بشر هذا الفتح بأن الدولة العثمانية في طريقها لتصبح إمبراطورية كبرى، واصل الفاتح جهاده فانتصر على الصرب، واستنجد به أمير من أسرة باليولوج في المورة فأنجده، ونتيجة ذلك تكوّن حلف ضده من البندقية وحلفائها الألبان، وانتصر عليهم وضم ألبانيا إلى الدولة العثمانية عام 1468م، وتوغل في البلاد التابعة للبندقية واستولى على مدينة تارنتو الإيطالية عام 1480م. بعد سيطرته على المضايق التي تفصل إيطاليا عن البلقان، ولما طلبت البندقية الصلح أجابها إليه وألحقت جزر كانت تابعة للبندقية بالدولة العثمانية، وصار الفاتح سيد البحر المتوسط ومضايقه. كما ناصر خانات القرم المسلمة ضد مطامع جنوة والقبيلة الذهبية اليهودية، ومن عام 1475م أصبحت القرم والتركستان ضمن التبعية العثمانية وصار البحر الأسود بحيرة اسلامية. وعُدّ الفتح من أهم وقائع التاريخ الأوروبي فقد عانى الغرب مدة قرنين من الزمن من تهديد الدولة العثمانية، التي وصل جنودها لمشارف فينًا. فاضطرت إلى أن تتجه نحو البحار المفتوحة، وأن تبحث عن طرق بديلة للذي اعتادت التجارة عليه، وتعويض نقص

احتياطيها من الذهب. فكان هذا الحدث إحدى العلامات الفارقة في التاريخ الإنساني بشكل عام. وكان لسقوط القسطنطينية وكنيستها الأرثوذكسية في قبضة العثمانيين المسلمين، أن جعل مركز ثقل الأرثوذكسية الأوروبية ينتقل إلى كنيسة موسكو منذ ذلك الوقت. من نتائج الفتح، هجرة الفن البيزنطي موطنه مع هجرة العلماء إلى إيطاليا وفرنسا، وأخذت تزداد وتثمر هناك، ونتج عنها الدعوة إلى إنقاذ اليونانية القديمة، وكان ذلك من بواعث النهضة الحديثة في أوروبا.

من أسباب توفيق العثمانيين في فتح القسطنطينية، هي البراعة العسكرية، ووضعهم نظامًا جديدًا للحرب، وتأسيسهم جيشًا منظمًا شديد الانضباط والطاعة للسلطان. وتنامي القوة العسكرية والسياسة العثمانية منذ القرن الرابع عشر الميلادي مقابل التراجع الشديد لدور الامبراطورية البيزنطية.

***

الهوامش

* **أستاذة مساعدة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية (قسم التاريخ) - الجامعة اللبنانية**

([1]) محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، لا ت.، ص ر، وص 191.

([2]) طاشكبري زاده: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت 1975، ص 51، وعبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنينية وقاهر الروم، دار القلم، دمشق، ط5، 1993، ص 31.

([3]) علي محمد محمد الصلاّبي: فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، ط.1، 2006، القاهرة، ص 87.

([4]) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، ترجمة عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا استانبول 1988، ص 131.

([5]) محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، دار البشير للثقافة، ط.2، مصر 2013، ص 43.

([6]) كارل بركلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقلها إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت 1968، ص 430.

([7]) سيد رضوان علي: السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، الدار السعودية للنشر، ط.1، الرياض 1982، ص16.

([8]) إدوار جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم، الجزء الثالث، ص 342

([9]) محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، طبع بمكتبة صادر في بيروت سنة 1925، ص 138.

([10]) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، م. س.، ص34، وأحمد آق كوندوز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية 2008، اسطنبول، ص 145.

([11]) حاتم الطحاوي: الفتح العثماني للقسطنطينية 1453م، شهادة الروسي نسطور - اسكندر، كلية الآداب جامعة الزقازيق، مصر، لا ت.، ص 151.

([12]) علي حسون: العثمانيون والبلقان، المكتب الاسلامي، ط.2، بيروت 1986، ص80.

[13]Edward S. Creasy: History of The Ottoman Turks, first edition, New York, 1878, p76.

ونيقولا فاتان: صعود العثمانيين (1451-1512)، من كتاب لروبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، الجزء الأول، ترجمة بشير السباعي، ط.1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1993، ص 117، وعبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، م. س.، ص72.

([14]) خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، ط.1، دار المدار الإسلامي، بيروت 2002، ص 39، وعبد اللطيف عبد الله بن دهيش: قيام الدولة العثمانية، ط.2، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة 1995، ص 47

([15]) محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة، ط.3، دار النفائس، بيروت 2013، ص 103.

([16]) محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 67.

([17]) فيليب مانسيل: القسطنطينية المدينة التي اشتهاها العالم 1453-1924 (الجزء الأول)، ترجمة مصطفى محمد قاسم، عالم المعرفة، ع 426، يوليو 20015، ص25، وعلي محمد الصلابي: فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح النشأة التاريخ الحصار الهجوم الحرب النفسية المفاوضات، دار الإيمان، الاسكندرية 2001، ص 104.

([18]) محمود ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299م-1923م، ط.1، مكتبة وهبة، القاهرة 1989، ص 45.

([19]) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، م. س.، ص 43، وص 50.

([20]) برنادين كيلتي: فتح القسطنطينية، ترجمة شكري محمود نديم، مكتبة النهضة، بغداد 1962، ص82.

([21]) محمد مصطفى صفوت: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، دار الفكر العربي 1948، ص25.

([22]) محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 50، وص 51.

([23])ج.ر.جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط.1، 2003، ص216.

([24]) أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة 2005، ص 110، ونيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، ترجمة حاتم عبد الرحمن الطحاوي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط.1، 2002، ص33.

([25])إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط.1، مكتبة العبيكان، الرياض 1996، ص 48،

([26]) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، م. س.، ص21، وسيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة-الازدهار، مكتبة الآداب، ط.1، القاهرة 2007، ص 159

([27]) محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 81.

([28]) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، م. س.، ص108.

([29]) محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة، م. س.، ص 106.

([30]) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، م. س.، ص 131، وأحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، م. س.، ص 118.

([31]) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: قيام الدولة العثمانية، م. س.، ص 48.

([32]) سيد رضوان على: السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، م. س.، ص24.

[33] Edward S. Creasy: History of The Ottoman Turks, New York, 1878, P77.

وسيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة-الازدهار، م. س.، ص 186، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص79.

([34]) ج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص227.

([35]) أحمد آق كوندوز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب، م. س.، ص 120.

([36]) سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة - الازدهار، م. س.، ص ص186.

([37]) أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، م. س.، ص120، ومحمد مصطفى صفوت: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، م. س.، ص50.

([38])ج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص 220، ومحمد طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة، م. س.، ص 105

[39] Carl Brockelman: History of The Islamic Peoples, New York, 1960, P 277

وعبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، م. س.، ص 72.

([40]) إدوار جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، م. س.، ص 289.

([41]) حاتم الطحاوي: اقتحام العثمانيين للقسطنطينية شهادة المؤرخ البيزنطي دوكاس، من مجلة الإجتهاد، العددان الواحد والأربعون والثاني والأربعون، شتاء وربيع العام 1999 بيروت، ص197، ومحمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة 1994، ص 49، وج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص249.

([42]) محمد مصطفى صفوت: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، م. س.، ص60، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م.س.، ص77

([43]) محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 74.

([44]) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، م. س.، ص103، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 76.

([45]) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط.2، بيروت 1986، ص 66، وعبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، م. س.، ص92، ومحمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة، م. س.، ص 108.

([46]) سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة-الازدهار، م. س.، ص 188.

([47]) إدوار جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، م. س.، ص346.

([48]) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، م. س.، ص77. ومحمد مصطفى صفوت: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية،م. س.،ص57

([49]) محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، م. س.، ص107، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 72

(50) محمد مصطفى صفوت: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، م. س.، ص 60، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص107

(51) سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة– الازدهار، م. س.، ص188، وأحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، م. س.، ص124.

(52) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط.2، مصر 1896، ص 59، وأحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، م. س.، ص127.

(53) علي محمد الصلابي: فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض في عصره، دار الإيمان، الإسكندرية 2002، ص 103.

(54) ج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص242، وأحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، م. س.، ص 123.

(55) محمد مصطفى صفوت: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، م. س.، ص60، وص65.

(56) طاشكبري زاده،: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، م. س.، ص 139، وعيسى الحسن: الدولة العثمانية عوامل البناء وأسباب الانهيار، ط.2، عمان 2015، ص71.

(57) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، م. س.، ص113.

58 Edward S. Creasy: History of The Ottoman Turks. Op. cit, p79.

سيد رضوان علي: السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، م. س.، ص26، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453 ص85. يختلف الرواة سواء البيزنطيين أم المسلمين في تقدير أعداد الجيش العثماني من 70 ألف إلى 250 ألف والدافع لتضخيم عديد القوات المحاصرة وتقليل القوات المدافعة من أجل تهوين شأن الفتح أمام هذا الحشد الضخم.

(59) برنادين كيلتي: فتح القسطنطينية، م. س.، ص85. وج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص 183.

(60) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، م. س.، ص49

(61) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش: قيام الدولة العثمانية، م. س.، ص 49، وسيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة– الازدهار، م. س.، ص 188

(62) ج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص 182.

(63) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، م. س.، ص118.

64 Edward S. Creasy: History of The Ottoman Turks. Op. cit, p 80.

(65) سيد محمد السيد محمود: تاريخ الدولة العثمانية النشأة – الازدهار، م. س.، ص189، ومحمد طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة، م. س.، ص109، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص91.

(66) ج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص258.

(67) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، م. س.، ص135، ونيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، م. س.، ص138، وص139

(68) نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م، م. س.، ص153، وص 154.

(69) حاتم الطحاوي: الفتح العثماني للقسطنطينية 1453م، شهادة الروسي نسطور– اسكندر، م. س.، ص 159.

(70) عبد المنعم الهاشمي: سيرة السلطان محمد الفاتح، دار القمة ودار الإيمان، الاسكندرية، لا ت.، ص53، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 100.

(71) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول،، م. س.، ص136.

(72) ج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص114.

(73) محمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص114.

(74) ج. ر. جونز: الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة، م. س.، ص289.

(75) محمود ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299م–1923م، م. س.، ص43.

(76) عبد المنعم الهاشمي: سيرة السلطان محمد الفاتح، م. س.، ص74، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص123.

77 Carl Brockelman: History of The Islamic Peoples, New York, 1960, P 277.

(78) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، م. س.، ص82، ومحمد سالم الرشيدي: السلطان محمد الفاتح 1453، م. س.، ص 129.

(79) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة 1994 ص 52

80 Carl Brockelman: History of The Islamic Peoples, New York, 1960, P280.

(81) كارل بركلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، م. س.، ص 435.

***